

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Department of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب

I.S.S.N: 1111-1143
E.I.S.S.N: 2602-5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

التنشئة الثقافية للأطفال: محدداتها وأبرز تحدياتها

The cultural upbringing of the children:
Its determinants and main challenges

Dr.Said Bihoun Ali

د: سعيد بهون علي

جامعة امحمد بوقرة (بومرداس) كلية الحقوق، قسم اللغة العربية وآدابها

University Mhamed Bouguerra, faculty of Law, department of arabic language and literature

الإيميل:	المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل:
	د: سعيد بهون علي Dr.Said Bihoun Ali
تاريخ القبول:	تاريخ الاستلام:
2019/06/04	2017/05/09

الملخص

لا زال مصطلح ثقافة الأطفال محاطا بضبابية وعمومية في ضبط عناصره، رغم فيض التعريفات والأبحاث المنجزة، مما يتطلب مزيدا من التدقيق والبحث في أبرز محدّداته، ليُزيل اللبس ويتميّز عن غيره من المصطلحات القريبة، كما أنّ البحث في التنشئة الثقافية للأطفال من حيث محدّداتها وما تواجهه من تحديات في ظلّ الرقمية يعتبر مطلباً أساسياً؛ يقتضي من المشتغلين في أدب الأطفال وثقافتهم إبداعاً ونقداً أن يولوا له العناية القصوى، إذا ما أريد إعداد جيل قادر على التكيف مع ظروف العصر، بل ويساهم في بنائه على نحو ما هو منشود.

الكلمات المفتاحية: التنشئة/ثقافية/أطفال

Abstract:

The term «children's culture» is still global and unclear despite a wealth of definitions and the conducted researches, which requires further scrutiny to better identify it. The research in the cultural upbringing of children in terms of its determinants and challenges in the digital world is a fundamental requirement, which would require specialists in this field to give it a specific consideration, to better educate the next generation

Keywords: upbringing/cultural/children

وموسيقاهم، وفنونهم التشكيلية والشعبية، وما إلى ذلك.

وإذا ما حاولنا أن نقوم بتعريف ثقافة الأطفال فسوف يتجاوز ذلك ما تبيّ تعريف، والمشكلة الحقيقية إزاء هذا المصطلح هي عدم قدرة الكثيرين على فهمه واستيعابه، وبالتالي نحن نواجه عدداً كبيراً من العاملين فيه لا يستطيعون الإلمام بشتّى جوانبه، وما زال الكثير منها ضبابياً، وغير واضح بالنسبة إليهم. ومن هنا لنا أن نعتمد على واحد منها، إذ لن يكون جامعاً مانعاً، لكنّه في تقديرنا يمكن أن يكون توصيفاً معقولاً مقبولاً، ألا وهو تعريف الأستاذ هادي نعمان الهيتي.

فقد حاول هذا الأخير من خلال كتابه "ثقافة الأطفال" أن يصوغ تعريفاً يستند إلى تعريف

- تمهيد:

بالثقافة نشئ طفلاً سوياً، إذ تتضافر عناصر: المعرفة والخبرة والفنون لتصنع منه إنساناً عصرياً، دون أن يفقد هويته. وموضوع ثقافة الأطفال على مستوى الهيئات الدولية طريف وغريب في الوقت نفسه، ويبدو أنها ستظلّ قضية حائرة بين طرفين (اليونسيف واليونسكو)، لانتمائها إلى طرفين لم يستقل أحدهما بالعمل فيها، ولم يتم التنسيق بينهما فيما يتعلّق بها.

1- مفهوم ثقافة الأطفال:

ثقافة الأطفال مصطلح شمولي، لا يستخدم كثيراً في الغرب، ويستعاض عنه بالعناصر التي تتشكّل منها الثقافة: علماً ومعرفة وفنوناً مختلفة، ويستخدمون عبارات: أدب الأطفال ومسرحهم

إنهم يحسون ويدركون ويتخيلون ويفكرون في دائرة ليست مجرد دائرة مصغرة من تلك التي يحس ويدرك ويتخيل ويفكر فيها الراشدون، لذا فإن ثقافة الأطفال ليست مجرد تبسيط أو تصغير للثقافة العامة للمجتمع، بل هي ذات خصوصية في كل عناصرها وانتظامها البنائي^{ix}.

- ثقافة الأطفال في كل مجتمع تختلف عنها في مجتمع آخر تبعاً لإطار الثقافة العامة وما يتبع ذلك من وسائل وأساليب في الاتصال الثقافي بالأطفال، فالمجتمع الذي يولي أهمية كبيرة لقيمة معينة تظهر عادة في ثقافة الأطفال، ومن ذلك نظرتهم إلى الطفولة ووسائله في نقل الثقافة إليها، ومدى القداسة التي يخلعها على بعض عناصر ثقافته والتي يرى أن من اللازم أن يتبناها أبنائه، وطبيعة نظمه الاجتماعية والاقتصادية وأماله، فثقافة المجتمع ترسم - إلى حد كبير - الإطار العام لثقافة أطفاله، يضاف إلى هذا أن للأطفال في كل مجتمع مفردات لغوية متميزة وعادات وقيم ومعايير، كما أن لهم طرقاً خاصة في اللعب، وأساليب خاصة في التعبير عن أنفسهم وفي إشباع حاجاتهم، ولهم تصرفات ومواقف واتجاهات وانفعالات وقدرات، إضافة إلى ما لهم من تاجات فنية ومادية وأزياء وما إلى ذلك مما يميزهم عن أقرانهم في أي مجتمع آخر.

- الأطفال لا يشكّلون جمهوراً متجانساً، بل يختلفون باختلاف أطوار نموهم، فقيم الأطفال في طور الطفولة المبكرة وعاداتهم وطرق التعبير عن انفعالاتهم، ووسائل إشباع بعض حاجاتهم وخصيلتهم اللغوية تختلف عن تلك التي يختص بها الأطفال في طور الطفولة المتأخرة.

- ثقافات الأطفال تختلف بعض ملامحها في المجتمع الواحد تبعاً للبيئة الاجتماعية التي تتوفر لهم، فالبيئة الاجتماعية في الريف تبت مؤثرات ثقافية مختلفة عن تلك التي تبتّها البيئة الثقافية في المدينة، بل إن الأسر المختلفة هي الأخرى توفر للأطفال بيئات ثقافية متباينة، وكذا الحال بالنسبة إلى جماعات الأقران والمدارس ووسائل الاتصال. - لا يمكن للطفل أن يتعرض لكل المؤثرات الثقافية في ثقافة مجتمعه بل يتعرض لجزء منها، كما أنه لا يستطيع أن يستوعب إلا جانباً من

تأثير الثقافة، الأمر الذي دفع به إلى القول بأنها "انعكاس لثقافة الكبار، وحصيلة للنشاط الإنساني عبر الأجيال، وصولاً إلى ما يعايشونه من حولهم، ويقدم إليهم من خلال البيت والأسرة، والمجتمع عامة.. ودار الحضنة ورياض الأطفال والمدرسة.. ثم أجهزة الاتصال"ⁱⁱ.

وغالبية الباحثين في ثقافة الأطفال يتفقون على أن "مفهوم الثقافة شامل يتسع للعادات والقيم والمعتقدات وأساليب السلوك والعلاقات والأدوار والتقنيات التي ينبغي تعلّمها والتكيف معها بما يعطي الحياة نمطاً محدداً"ⁱⁱⁱ. وإذا كان الأمر متعلقاً بالأطفال فإن ثقافتهم هي "مجموعة العلوم والفنون والآداب والمهارات والقيم التي يستطيع الطفل استيعابها وتمثلها في كل مرحلة من مراحل العمرية الثلاثة، ويتمكن بوساطتها من توجيه سلوكه داخل المجتمع توجيهاً سليماً"^{iv}. وقد اختصرها أحدهم بأنها "أسلوب حياة الطفل حسب طبيعة كل مجتمع"^v.

وتعدّ ثقافة الأطفال "إحدى الثقافات الفرعية في المجتمع، وهي تتفرد بمجموعة من الخصائص والسمات العامة"^{vi}، وللطفل في كل مجتمع عالمه الخاص، من عادات وقيم وأساليب خاصة في التعبير عن نفسه، وفي إشباع حاجاته، وله أيضاً مواقف واتجاهات، وقدرات عقلية ونفسية واجتماعية ولغوية خاصة به.. أي "له خصائص ثقافية ينفرد بها"^{vii}.

وترتبط ثقافة الطفل ارتباطاً وثيقاً بثقافة المجتمع السائدة، ويعمل هذا الأخير على نقل ثقافته السائدة إلى الطفل، كما أن هذا الطفل يمتص تلك الثقافة بطريقته الخاصة"^{viii}.

2- محدّدات ثقافة الأطفال:

انطلاقاً مما تقدّم في مصطلح ثقافة الأطفال يمكن استخلاص أبرز محدّدات هذه الثقافة على النحو الآتي:

- الطفولة مرحلة نمو لها خصوصياتها، يتّصف خلالها بخصائص وعادات وتقاليد وميول وأوجه نشاط وأنماط سلوك أخرى متميزة، "فالأطفال ليسوا مجرد راشدين صغاراً، بل لهم قدرات عقلية وجسمية ونفسية واجتماعية ولغوية خاصة بهم، وما دامت لهم أنماط سلوك مميزة، وحيث

أ- أن لغة الأطفال وعاداتهم في العمل واللعب، وتقاليدهم وطرقهم في التعبير عن أنفسهم وعواطفهم وانفعالاتهم ومهاراتهم المختلفة، وطرقهم في التفكير والتخيل، ومثلهم العليا، وتواجدهم الغيبي، والقصص التي يتناقلونها، والأغاني التي يتغنون بها، والموسيقى التي تروق لهم، وأوجه سلوكهم الأخرى تختلف في مجملها عن تلك التي يختص بها الكبار لا من حيث الدرجة، بل من حيث النوع والاتجاه.

ب- كما أن ثقافة الأطفال تختلف عن ثقافة المجتمع أيضا في انتظام عناصرها، إذ أن سلم العادات أو سلم القيم أو سلم الميول في ثقافة مجتمع ما يختلف في ترتيب مفرداته عما هو في ثقافة الأطفال، فضلا عن أن هناك عناصر ثقافية في ثقافة الأطفال غير موجودة في ثقافة المجتمع، والعكس صحيح.

ومع ذلك فإن ثقافة الأطفال ترتبط بثقافة المجتمع برباط متين، وذلك لأن كل مجتمع يعمل في العادة على نقل ثقافته إلى الأطفال، "فالكبار يحاولون صوغ الصغار بحسب الصورة المستقبلية التي حددها ورأوها صالحة لنهضة الوطن والأمة"^{xiii}. لكن الأطفال في كل جيل لا يمتصون غير جوانب محددة من ثقافة مجتمعهم، إضافة إلى أنهم يحورون فيها، ويضيفون إلى البعض الآخر، إذ يمكن القول إن الأطفال يمتصون الثقافة بطرقهم الخاصة، كما أن المجتمع لا يستطيع أن يسيطر على المضمون الثقافي الذي يلتقطه الأطفال؛ حيث إنهم يمتصون كثيرا من المعاني بشكل غير مقصود من قبل الكبار.

ولهذه العوامل، ولعوامل أخرى تعود إلى ما ينطوي عليه التغير الثقافي من ظواهر، فإن ثقافة الأطفال في كل جيل تختلف -إلى حد ما- عن ثقافة الأطفال في الجيل السابق، لذا فإن الآباء أنفسهم في كل جيل يضجون بالشكوى لحال أطفالهم الذين لم يكونوا مثلهم عقلاء طبيعيين، ويبدو أن هذه الشكوى قديمة كل القدم.

3- أهمية التنشئة الثقافية للأطفال:

الثقافة، ومن هنا تظهر في ثقافة الأطفال عموميات وخصوصيات وبيدات، ويختلف الأطفال في قدر ونوع كل من هذه العناصر إلى حد ما. فعموميات ثقافة الأطفال تتعلّق بكل ما يتبناه أطفال المجتمع الواحد على نطاق واسع، من قبيل لغتهم وبعض أنماط لعبهم وطرق التعبير عن مشاعرهم، أمّا الخصوصيات فتتعلّق بالعناصر التي يختص بها أعضاء طبقات اجتماعية أو فئات مهنية كأبناء الفلاحين أو العمال أو الأطباء.

بينما البديلات الثقافية تتحدّد في العناصر التي تشيع بين فئات من الأطفال ممن يتهبأ لهم الاتصال المباشر أو غير المباشر بثقافات أخرى غير ثقافة مجتمعهم، كالتعرّض لبرامج صحفية أو السفر خارج بيئاتهم، وقد تصبح هذه جزءا من عموميات الثقافة بمرور الزمن إذا اتسع نطاق تبنيها^x.

- الثقافة الموجهة للأطفال لا تباشر مقاصدها التعليمية تجنبا لنفور الطفل، مما يعيد المسألة برمتها إلى انشاق التربوي من الفني، إذ هي ليست مجرد نصائح وإرشادات وتوجيها معرفيا وقيميّا مباشرا، بالقدر الذي تنهض بهذه الوظائف عبر بلاغتها وإبلاغتها اللتين تميزان الخطاب الثقافي للأطفال حسب كل جنس، وعبر كل وسيط ثقافي أو وسيلة اتصال بجمهور الأطفال^{xi}.

- ليست مراحل النمو الإدراكي والنفسي وصفات جاهزة تجتلب من النظريات وحدها، فالنظريات يستهدى بها، والمعول دائما هو صلاح تجارب العمل التربوي والثقافي مع الأطفال، وثمة قاعدة ذهبية تؤكد أن الأطفال يتبادلون التأثير مع خطابهم الثقافي والتربوي، فهم يعدّل سلوكهم ولكنهم في الوقت نفسه يصوغون خصائص نموهم المعرفية والعاطفية.

- ثقافة الأطفال ليست مجرد تبسيط أو تصغير للثقافة العامة في المجتمع، بل هي ذات خصوصية في كل عناصرها وانتظامها البنائي، إذ رغم كونها جزءا من ثقافة ذلك المجتمع تشاركها في صفات عدة إلا أنها لا تعدّ نسخة مكررة منها، بل هي كيان متميز، يتضح بجلاء من خلال ما بين الثقافتين من فروق أبرزها:

بعملية انتشار الثقافات وتطورها، والاعتراف بتساويها في الكرامة، وبالصلة التي لا تنفصم عراها بين التراث الثقافي والثقافة المعاصرة، والتربية الفنية والجمالية، والتنشئة على القيم الأخلاقية والمدنية، والتربية في مجال وسائل الإعلام والتربية المشتركة بين الثقافات^{xvii}.

ولا تقل الأهمية القومية لثقافة الأطفال عما تقدم، فهي مجال رحب لفهم وقائع التاريخ وانعطافاته الرئيسة، وكذا أعلامه البارزين ودلالاته الحية التي صاغت وتصوغ الحاضر، وتكون ثقافة الأطفال مجدية وفعالة أكثر إذا صارت وسائطها صوتاً لمنجزات الأجداد وقيمهم الباقية، شرط أن تكون منبثقة من ينابيعها الشعبية؛ كالحكايات والسير والشعر وطرائق تعبيرها وأساليب خطابها الأقرب لروح الأطفال وخصائص التلقي لديهم.

وإذا نظرنا إلى الأهمية الجمالية والفنية لثقافة الأطفال فإنها تعدّ جهداً تربوياً يتوجه إلى رهافة الحس والاحتفاء الصادق والمحّب بأسمى المشاعر والعواطف، وإلى النفور من الوعظ والإرشاد لتكون حقاً ثقافة رفيعة، تبعث أفضل ما في القلوب الطيبة الياقة، وتربي الأطفال على الجيد في حياة الإنسان، والجمال بحد ذاته صنو الخير والاستهداف المتفهم لأعباء الحياة، أما الفن وممارسته من قبل الأطفال أنفسهم فهو حوض الأطفال المبكر في نهر التجربة الجاري، والتعرف إلى القيم الشريفة والفاضلة مباشرة، ليصبح الصغار كباراً وهم يكتشفون بالفنون وممارستها رؤية أنقى للعالم.

ومراعاة البعد النفسي في التنشئة الثقافية تمكن الطفل منذ ولادته من التكيف مع محيطه والتفاعل معه، إذ تراعى مراحل نموه وحاجاته المتعددة، وخصائصه اللغوية والحركية والإدراكية، فثمة ثقافة مناسبة لكل مرحلة، تستند إلى الثقافة الشعبية التقليدية وتستفيد من إنجازات الثقافة المعاصرة في الوقت نفسه.

4- قدرات الأطفال في اكتساب ثقافة

المجتمع:

الاتصال في طبيعته عملية معقدة، لها عناصر اجتماعية وأخرى نفسية، وله مراحل تبدأ بالنسبة

ثمة اعتراف واسع اليوم بأهمية التنشئة الثقافية للأطفال^{xiii}، ولعلّ هذه الأهمية تتبع من وظيفة ثقافة الطفل الأساسية، في تحويل المولود الجديد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وتبرز أهميتها بوضوح خلال مراحل التنشئة إلى سن الرشد، فخلالها تتم عملية الانتماء الاجتماعي بخصائصها وديناميتها الأساسية، كما تتشكل الهوية الذاتية التي يلعب المحيط الاجتماعي بمختلف مثيراته ووسائطه الدور الحاسم فيها، كما أنّ الثقافة لا تقتصر على تكوين الهوية، بل تتعداه إلى تكوين الشخصية بمجمّلها وتحدّد السلوك وتوجهاته، وذلك من خلال عمليات النمو في مختلف أبعادها العاطفية والمعرفية والاجتماعية والسلوكية والجمالية^{xiv}.

وبذلك فتقافة الطفل ليست مجرد عملية ارتقاء فكري وتهذيب للحواس، بل هي إعداد للمستقبل وصناعة له من خلال أجيال الغد، "هذا المستقبل رهن بعملية التنشئة ومدى العناية التي تعطى لها ونوع التوجهات الأساسية التي تتخذها، ولذلك فلا مبالغة في القول بأن مدى تقدم المجتمع يرتبط بمدى أهمية النظرة إلى الطفولة والتعامل معها وإعدادها"^{xv}.

وتبرز أهمية التنشئة الثقافية في جوانب عدّة تبعاً لتعدد أبعادها، المتفرعة إلى تربوية وقومية وجمالية ونفسية^{xvi}.

فأهميتها التربوية تكمن في كون بعدها التربوي شرطاً لتحقيقها، والبعد التربوي مرهون باعتباريات تربوية متعددة؛ أهمها سنّ الطفل ومراحل النمو الإدراكي والنفسي وصلة ذلك ببيئة الطفل ومجتمع وثقافته.

فإذا استند المنهاج المدرسي إلى ثقافة الأطفال في اعتباراته التربوية والفنية من شأنه أن يكون ميسراً ومشوقاً، يضمن للتنشئة الاجتماعية سيرورة ذاتية تجعل الطفل مشاركاً، وليس متلقياً أو ملقناً يحشى بالمعلومات اللازمة وغير اللازمة لنموه، والأمر ينطبق تماماً على الأنشطة المدرسية على اختلاف أنواعها حتى الرياضية منها.

وللتربية وظيفة أساسية في التنمية الثقافية، تهتدي بالتعريف بالتراث الثقافي وتقديره، والتعريف بالحياة الثقافية المعاصرة والتوعية

ويجعلها في مركز الاهتمام في اللحظات المختلفة.

لذا فإنّ وسائل الاتصال تعمل على جذب انتباههم من خلال الألوان والأضواء والحركات السريعة والصور الغريبة وما إلى ذلك من أساليب التشويق، كما تحاول ربط محتوى الرسائل الاتصالية بحاجات الأطفال ودوافعهم؛ نظرا لما بين تلك الحاجات والدوافع من علاقة بالإدراك.

وإذا كان الإدراك هو أساس حياة الطفل المعرفية باعتباره يقود إلى الفهم -أي امتصاص عناصر الثقافة- فإنّ للثقافة نفسها دورا أساسيا في تحديد طرق تنظيم الإدراكات، حيث إنّ الطفل يفهم ما حوله من مشيرات في ضوء الانطباعات التي ترسمها مداركه، تلك الانطباعات التي يكتسبها في العادة من ثقافة مجتمعه.

والطفل لا يتعلّم من بيئته كيف يسمع أو يبصر بل يتعلّم معنى ما يسمع ومعنى ما يبصر، وكذلك الحال بالنسبة إلى اللمس والشمّ والذوق، وعلى هذا فإنّ اتصال الطفل بالبيئة الثقافية يهيئ له إدراك معاني أحاسيس، لذا فإنّ مداركات الأطفال في ثقافة ما تختلف في كثير من الوجوه عن مداركات الأطفال في ثقافة أخرى.

ورغم طبيعة الإدراك المعقّدة، واختلاف العالم الإدراكي بين الناس، وارتباط الإدراك بالشخص وحالته النفسية وثقافته وبيئته الثقافية وبطبيعة الشيء أو الموقف المدرك إلاّ أنّه يمكن الحديث عن عالم إدراكيّ عامّ للأفراد، وخصوصا الأطفال في كلّ مرحلة من مراحل نموّهم، نظرا لاشتراكهم في الحاجات، ومواجهتهم مشاكل ومواقف وخبرات مشتركة إلى حدّ ما.

ومن بين ما انتهت إليه الدراسات الاتصالية أنّه كلّما كان عدد الحواسّ التي تتلقّى المشيرات أكبر كان الإدراك أقرب إلى أن يكون صحيحا، لهذا يعتبر علماء الاتصال أنّ صحف وكتب الأطفال المصوّرة أكثر قدرة على تكوين المداركات من الصحف والكتب التي تعتمد على المادّة المقروءة فقط.

والمعروف أنّ الأطفال في صغرهم لا يدركون المعنويّات، كالعزّة والكرامة والثورة وما إليها، لذا تتعد مصادر الاتصال بالأطفال عن إطلاق هذه المعنويّات في رسائلها الاتصالية،

إلى الطفل بالإحساس وتنتهي بتبني أو رفض المضمون الثقافيّ.

فالطفل يحس ويدرك ويتبّه ويتذكّر ويتخيّل ويفكّر، وقد هيأت له عمليّة الإحساس أن يرى ويسمع ويزوق ويشمّ ويلمس، وساعده الإدراك على إجراء اختيار وتنظيم وتحويل للأحاسيس، ومكّنه التذكّر من استعادة الخبرات السابقة لتكوين جديد، ومهد له التخيّل تكوين توقّعات مقبلة، وساعده التفكير على حلّ المسائل والمشكلات.

4. 1- مداركات الأطفال وامتصاصهم للثقافة:

الطفل لا يتلقّى الأحاسيس بصورة آليّة بل يؤوّلها وفقا لمدى نموّه النفسي والاجتماعي والجسمي والعقلي، ووفقا للموقف موضع الإحساس، ممّا يعني أنّ للثقافة دورها في تشكيل المداركات.

ورغم أنّ الأطفال يختلفون في أطرحهم الإدراكية إلاّ أنّ للإدراك بوجه عامّ خصائص متميزة، منها^{xviii}:

- الحذف: فالطفل لا يدرك تفاصيل الموقف أو الفكرة أو الحدث بأكملها، ولا يستجيب لجميع المؤثرات لاستحالة توجيه انتباهه إلى مجمل تلك التفاصيل، حيث يتحقّق التركيز في العادة على بعض الجوانب منها، وتختلف تلك الجوانب باختلاف الأطفال، وهذا يقود إلى القول إنّ الأطفال يحذفون جوانب من موضع الإدراك.

- الإضافة: يميل الأطفال إلى إضافة تفاصيل إلى الأصل ليست واردة فيه بالأساس، إذ إنّهم يكملون الصورة الناقصة - في الغالب- أو يسدّون بعض الجوانب التي ينشغلون عن الانتباه إليها، لذا يقال إنّ الأطفال لا يدركون موضوع الإحساس كما هو بل كما يكون أولئك الأطفال، وعلى هذا فإنّ الإدراك ينطوي على الإضافة في نفس الوقت الذي ينطوي فيه على الحذف.

- الانتقاء والترتيب: فالطفل يميل إلى الانتقاء في إدراكه للأحاسيس، حيث إنّ المشيرات في البيئة من السعة والكثرة بحيث تعجز الحواس عن استقبالها في وقت واحد، لذا يختار منها جانبا

- العمل على إخراج الأطفال من سلبتهم عند تعرضهم للاتصال، لأن السلبية تدفع إلى خمود الفكر بينما يدفع التعامل الإيجابي مع مضمون الاتصال دورا مهما في تحقيق اتصال فعال وبالتالي إحداث تأثير.

- إتاحة الحرية للأطفال للتعبير عن أفكارهم والعمل على إبعادهم عن الانفعالات الحادة، التي تعيق عملية التفكير كالقلق والخوف الشديد والغضب، وما دام الأطفال ميالون إلى توجيه أسئلة كثيرة ومنوعة ينبغي استغلال هذا الأمر في تحفيزهم على التفكير، مع مراعاة عدم اللجوء في جميع الحالات إلى تقديم الجواب أو الحل بصورة مباشرة.

- العمل على تنمية قدرة الأطفال على النقد وعلى الحكم، واكسابهم العادات التي تبعدهم عن التسرع في إطلاق الأحكام، وتشجيعهم على مناقشة ما يعن لهم، وإذا كنا نحن الكبار قد منحنا لأنفسنا الحق في منع الأطفال عن القيام ببعض أنماط السلوك فليس من حقا أن نحجب عنهم حرية التفكير في أي قضية.

- نظرا لما للغة من علاقة بالتفكير فإن أمام وسائل الاتصال مهمة إثناء ثروة الطفل اللغوية، إذ إن الحصيلة اللغوية الثرية تمهد لهم إدراكا وفهما أدق، كما تمهد لهم التعبير عن أفكارهم وأحكامهم بشكل أكثر سلامة ودقة، مع وجوب الحرص على عدم إلقاء الأطفال إلى اللغظية الفارغة التي تخلو من الفكر.

- مواجهة الأطفال بمشاكل عقلية تناسب مستوى نموهم العقلي، لأن طرح مشكلات يرى الأطفال أنها تقل عن مستواهم تشكل مدعاة لاستخفافهم بها، بل إن طرح مشكلات تفوق ذلك المستوى بكثير يقودهم إلى مشاعر قد تقود إلى الإحباط.

- العمل على تدريب الأطفال على الطرق الصحيحة والمنظمة في التفكير، لأن تعلم التفكير ليس أمر ميسورا ما دامت له قواعد وأسس ومراحل، وقد أصبح هذا الأمر هدفا جوهريا لعديد من وسائل الاتصال، بل أدخل ضمن المقررات المدرسية في المدارس الابتدائية والمتوسطة من خلال توفير الفرص للأطفال لممارسة أنشطة فكرية تجعل التفكير عملية ممتعة ولذيذة وليست

وهي في حالة استخدامها تستعين بأحاسيس مألوفة للأطفال ذات علاقة بتلك المعاني كي تقربها من مداركهم، وهي في حالة إغفال ذلك تمسي كمن يحدث المصاب بعمى الألوان عن خضرة الشجر وحمرة الورد وزرقة البحر.

وتعمل وسائل الاتصال على "تنمية قدرات الطفل على الإدراك الصحيح، وترى في سلامة إدراك الطفل مهارة أساسية من مهارات فك الرموز الاتصالية التي يتطلبها فهمه لمعاني الرسالة. مما يمكنه من ثقافة مجتمعه"^{xix}.

4. 2- تفكير الأطفال وعلاقته بالثقافة:

يسعى المجتمع إلى تنشئة أبنائه على التفكير السليم بعيدا عن الخرافة أو التسلط أو التفكير بعقول الآخرين، وإنشاء الأطفال على نبذ هذه الأساليب غير السليمة وطبعهم على التفكير العلمي يعد مطلبيا تربويا أساسيا، وما دنا نريد للأطفال أن يحلوا المسائل المتعلقة بحياتهم والمشكلات التي يواجهونها، ويفسروا الظواهر تفسيراً صحيحاً، فإن هذا يعني أننا نريد لهم أن يفكروا بطريقة علمية، تمضي في خطوات معتمدة على بعضها، هادفة ودقيقة ومرنة.

لثقافة دورها في تشكيل طرق التفكير لدى الأطفال، ووسائل الاتصال الثقافي تعد مثيرات أساسية لتفكيرهم، وهي من أجل أن تحقق ذلك لابد لها أن تلتزم بمجموعة من الشروط والضوابط، منها^{xx}:

- أن توفر الخبرات للأطفال؛ نظرا لما للخبرات من أهمية فيما له علاقة بحياتهم خاصة، ومن ذلك ما يطلق عليه بالخبرات العوضية، من خلال مسرحية الأفكار وإخراجها بشكل درامي بحيث يتوحد الأطفال معها على أساس أنها تعويض عن الواقع.

- عدم حشو أذهانهم بالمعلومات ما دامت عرضة للتغير وما دام الكثير منها لا يرتبط بحياة الأطفال ارتباطا وثيقا، فينبغي أن تكون حدودها من السعة بحيث لا تشغل حيزا واسعا على حساب المساحة المخصصة لإدراك العلاقات والربط بين المتغيرات.

ترجّح النظريات الحديثة اعتبار البيئة الثقافية هي نقطة البداية في دراسة السلوك، ما دام الشخص في تفاعل اجتماعي مع تلك البيئة، لذا يكتسب منها أنماط السلوك، ويتصرف على أساس ذلك. فالسلوك هو محصلة للتفاعل بين الشخصية التي عملت الثقافة على بلورتها وبين الثقافة نفسها، حيث إن الشخص يحس ويدرك ويستجيب ويفكر ويعمل بطريقة تحددها عناصر الثقافة التي يحيا في حضنها ويتشكّل سلوكه ليتلاءم معها.

والطفل - على هذا الأساس- يمتصّ خلال أطوار طفولته أنماط السلوك المختلفة السائدة في المجتمع، لذا فإنه لو عزل عن الثقافة لاتبّع سلوكا مختلفا يمكن أن يوصف بأنه ساذج وبدائي.

والسلوك في مجمله لا يخضع في الغالب للعقل قدر خضوع العقل للمعايير الثقافية، حيث إن الأشياء والمعاني تفقد دلالتها خارج إطارها الثقافي، لذا يقال إن الثقافة هي نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة. ولو حاولنا التقصي عما يثبت صحة كثير مما نحمل من أفكار ومعتقدات لوجدنا أنفسنا عاجزين عن ذلك، ويرجع هذا إلى أن الإنسان يتقبّل الكثير من الأفكار والمعتقدات ذات الأثر في السلوك دون أن تتوفّر له أسباب منطقيّة تحمله على ذلك التقبّل، وكلّ ما هناك أنّها انتقلت أثناء تفاعله بالمجتمع فأصبحت جزءا من بنيان سلوكه.

وعلى أيّ حال فإنّ سلوك الأطفال هو "وليد الثقافة، حيث يتعلّم الطفل أنماطا محدّدة من السلوك، وتهيئ له الثقافة مقابله المواقف الجديدة التي يواجهها لأول مرة من خلال تعميمه نمطا سلوكيا محدّدا، وينطبق هذا على ما هو سلوك عمليّ، أو سلوك انفعاليّ من خلال ما يديه من أنماط سلوكيّة في المواقف المتماثلة أو المتقاربة"^{xxii}.

4. 3. 2- البيئة الثقافية ونموّ الأطفال:

مشابهة للامتحان المدرسيّ الذي يبدو وكأنه وسيلة يقصد بها تحديّ قدرات الطفل.

- إشاعة قيم المرونة في تفكير الأطفال من خلال العمل على تعميق وعيهم بأنّ الأفكار ليست جامدة بل هي عرضة للتغيّر، ولهذا الجانب أهميّة كبيرة في مجتمعنا، حيث إنّ الأسرة كثيرا ما تتشوّى الأطفال على أفكار سرعان ما يجدون ما يناقضها في شبابهم عند اتّصالهم بمنظّمات المجتمع المختلفة، لذا يعاني البعض منهم من مشكلة التكيف.

وبوجه عام فإنّ أمام وسائل الاتّصال مهمّة العناية بإثارة عمليّة التفكير المنظم لدى الأطفال، لأنّ هدف الاتّصال ليس نقل الثقافة من جيل إلى جيل بنفس عناصرها وبنيتها، بل نقل عسارة ثقافيّة جديدة.

4. 3- البيئة الثقافية وتشكّل شخصيات الأطفال:

تعتبر البيئة الثقافية العامل الأساسيّ في تكوين شخصية الإنسان، وتحديد سلوكه وأسلوبه في الحياة، لذا تتخذ شخصية الطفل الصيغة التي تشكّلها بها المؤثرات الثقافية، أي إنّ شخصية الطفل تتحدّد بفضل ما يستدمجه في داخله من عناصر الثقافة، وهذا يعني أنّ شخصيته تنمو وتتبلور في المناخ الثقافي للمجتمع، بحيث يهيئ له هذا المناخ فرص النمو والتعلّم، فتكوين شخصية الطفل عبارة عن عملية يتمّ فيها دمج العناصر الثقافية المكتسبة مع خصائصه التكوينيّة لتشكّلها معا وحدة وظيفيّة متكاملة^{xxi}.

4. 3. 1- البيئة الثقافية وسلوك الأطفال:

يتضمّن السلوك كلّ ما يمارسه الشخص ويحسّ به ويفكر فيه، بصرف النظر عن الهدف الذي تنطوي عليه الممارسة أو الإحساس أو التفكير، وعلى هذا فإنّ السلوك يشتمل على ما يقوم به الفرد من أعمال أو أنشطة أو تعبيرات أو استجابات، ومن السلوك ما هو ظاهر ومنه ما هو مستتر تصعب على الآخرين ملاحظته بسهولة.

متناسق، أو عندما تؤدي بالطفل إلى أن يسلك سلوكا انفعاليا ضارا بنفسه أو بالآخرين، حيث إن الانفعال هو استجابة يديها الطفل عند تعرضه لموقف مثير وإدراكه له بشكل من الأشكال، واستجابات الطفل الانفعالية لها علاقة وثقا بتحديد نوع السلوك.

يظل للبيئة الثقافية أثرها في إكساب الطفل نوع وطبيعة الانفعالات وفي تطويرها أو تعديل مظاهرها، وفي طرق النزوع والتعبير عنها. أما بالنسبة إلى علاقة الثقافة بالنمو الاجتماعي للطفل فيمكن القول إنه ما دام الطفل يحيا في ثقافة هي بيئة اجتماعية قوامها الوحدات الاجتماعية الأولية المتمثلة بالأسرة والجيران وجماعات اللعب والوحدات الاجتماعية الثانوية المتمثلة بالمدرسة وغيرها من تنظيمات المجتمع، فإن الطفل يتفاعل مع مفردات هذه الوحدات ويكتسب بعض عاداتها وقيمها ومعاييرها وأفكارها وأوجه سلوكها الأخرى، مما ينقله إلى كائن اجتماعي.

وعلى هذا كله فإن للثقافة دورها الكبير في نمو الأطفال عقليا، من خلال تأثير النشاط العقلي بما يستمدّه الطفل من البيئة الثقافية، وفي نموهم عاطفيا وانفعاليا من خلال تنمية استجاباتهم للمؤثرات المختلفة، وإكسابهم الميول والاتجاهات وطرق التعبير عن انفعالاتهم، وفي نموهم اجتماعيا من خلال بناء علاقاتهم بالآخرين، وفي نموهم حركيا من خلال تنظيم حركاتهم ونشاطاتهم ومهاراتهم، وينطوي ذلك كله على بناء شخصياتهم وتحديد سلوكهم.

5- معايير المضمون الثقافي الموجه

للأطفال:

تتعلق بين الفينة والأخرى صيحات تربية تدعو إلى إعادة النظر في مضامين الاتصال الثقافي بالأطفال، ذلك أن كل جيل يجد نفسه عاجزا عن تحقيق أمان عذاب له يعمل على أن يهيئ الأطفال لتحقيقها، من خلال محاولته صياغة شخصيات الأطفال وفق ما يريد، ومن ذلك أن يكونوا في سلوكهم أقرب إلى الكبار، وأن يتمسكوا بكثير مما يحملونه من

إن جوهر عمليات النمو هو انتقال من انعكاسات إلى الأفعال الحسية وسواها، إلى الأفكار إلى الأقوال؛ حيث النمو اللغوي يميز النمو المعرفي تمهيدا للنمو الاجتماعي والانفعالي^{xxiii}. وللثقافة أثرها في أوجه نمو الأطفال المختلفة؛ كالنمو العقلي والانفعالي والحركي والاجتماعي، وهذا التأثير لا يتخذ نسبا واحدة بل يتباين إلى حد كبير، فالبيئة الثقافية لا تؤثر في النمو الجسمي إلا في نطاق محدود، بينما تؤثر تأثيرا كبيرا في النمو الانفعالي والاجتماعي^{xxiv}. ففي مجال النمو العقلي الذي يتمثل في الذكاء وكفاية العمليات العقلية كالإدراك والتصور والتخيل والتفكير ونمو اللغة، يمكن التذليل على أثر الثقافة فيها من خلال الإشارة إلى ما تفعله في هذه الجوانب، فالذكاء الذي يرتبط بالنجاح في التكيف مع البيئة الطبيعية والثقافية، والذي يقاس عادة بالقدرة على حل المشكلات، أو بقياس ما لدى الطفل من مهارات ترتبط في الوقت نفسه بما يتعلمه الإنسان من بيئته الثقافية؛ إذ يتأثر بتلك البيئة ويمدى ما تقدمه من عناصر، فالوكالات الاجتماعية التي يحيا فيها الطفل كالأسرة والمدرسة وجماعات اللعب ذات تأثير في ذكائه. أما بالنسبة إلى العمليات العقلية والمعرفية فإنها تتأثر جميعا بالحيز الثقافي وما يهيئه للأطفال من ظروف، حيث إن ما يكتسبه الطفل من خبرات ومهارات تفعل فعلها في رسم العوالم الإدراكية للأطفال، وفي توجيه تخيلاتهم نحو الإنشاء أو الهدم، وفي تحديد أنماط ومجالات تفكيرهم.

لذا يمكن أن تكون البيئة الثقافية عاملا من عوامل إنضاج ذكاء الأطفال وعملياتهم العقلية أو عامل كبت لها، إذ إن القدرات العقلية والعمليات المعرفية هي خصائص طبيعة قابلة للتغير، لذا يمكن للمجتمع أن يطفئها فتخمد، أو يلهبها فتتمو. وفي مجال النمو الانفعالي الذي يعني مستويات النضج المتمثلة في قدرة الطفل على استخدام انفعالاته استخداما بناء، فإن الثقافة تلعب دورها الكبير في ذلك. فالانفعالات هي ظواهر نفسية اعتيادية، ولكنها تميل إلى الانحراف عندما تتحول إلى ما يسمى بالاضطراب الانفعالي عندما تؤول الاستجابات إلى ما هو غير

ذلك المناخ قيام أجهزة الاتصال الثقافي بنقل مضمون جامد أو متسلط، وهو في جموده أو تسلطه يخدم أهدافا أو نظما وضعت في ضوء متطلبات مصلحة الراشدين أو أجهزتهم دون خدمة الطفولة نفسها.

- أن يظل المضمون الثقافي في تطور مستمر كي لا تسمى الثقافة عقيمة، حيث إن ظهور التحولات والمستجدات المختلفة يتطلب أن تجد لنفسها حيزا في ثقافة الأطفال، والأصبح الاتصال الثقافي عملية نقل آلي يشبه عملية قطع عصا من شجرة وتسليمها إلى الآخرين دون "تقيفها" من الأشواك، ومع هذا يراد لها أن تكون سارية راية.

- إشاعة ثقافة للأطفال تقوم على التوير، وإحلال قيم ومثل تقوم على الحقائق بدل تلك التي تقوم على الجهل وضيق الأفق، وتخلو من التعصب والأوهام والمخاوف والأحزان، وتبتعد عن تعليم الأطفال الإذعان والطاعة العمياء.

- تقديم المضمون الثقافي للأطفال كبنیان كلي، لا مجرد تلقين عناصر متباعدة، وهذا تمهيدا لإيجاد النظرة العامة والسلوك العام، إذ لا جدوى من أن يتلقى الأطفال الأفكار دون أن يفهموا كيفية ترجمتها إلى سلوك، ولا معنى لأن يجيد الأطفال الحديث عن القيم الإيجابية دون التزامهم بها أو دون اكتسابهم القدرة على تنظيم القيم المختلفة وتغليب قيمة معينة في موقف معين.

- أن ينطوي الاتصال الثقافي في مضمونه على "الأفكار" باعتبارها أدوات أساسية لبناء معايير شخصية الطفل، وتحديد نظرة عامة في الحكم والتقييم على مجمل عناصر الثقافة الأخرى وعلى انتظامها أيضا، فالقيم والمعايير والعادات وغيرها من العناصر الثقافية لا يمكن أن تظل ثابتة ما دام هناك تغير اجتماعي مستمر، وهذا التغير يؤدي بعض هذه العناصر إلى الانحسار أو الانعطاف أو الموت، كما يؤدي إلى ظهور بعض جديد منها، لذا فإن التركيز على "الأفكار" يمكن أن يقود الطفل إلى تحديد علاقته بالعناصر التي تؤول إلى الاضمحلال، وتلك التي تمضي إلى الحياة.

- ضرورة توفير ثقافة عامة ومثينة للأطفال تسبق في عموميتها أي تخصص، ويصل الأمر بعدد كبير من المعنيين إلى التحذير من التخصص قبل السنة

عناصر الثقافة، ويقع في هذا كثير ممن نسميهم مربيين أو كتاب أطفال فضلا عن عامة الناس، حيث يظنون مشدودين إلى ثقافة أجيالهم إلى مدى واسع.

وتفاديا لهذا هناك معايير ينبغي أن يضعها الاتصال الثقافي بالأطفال في حسابه، منها^{xxv}:

- تشكيل ثقافة أطفال متوافقة مع العصر ومتلائمة مع الآمال الموضوعية للمستقبل.

- أن لا يستهدف الاتصال الثقافي "نقل" الثقافة برمتها، بل الانتقاء من عناصرها الإيجابية وإثرائها والانعطاف بالقيم والمعايير والمعاني بما يناسب الطفل وما يتوافق مع آمال المجتمع.

- السعي إلى بناء شخصية متكاملة ومتوازنة للطفل، ففي الوقت الذي يراد فيه بناء شخصية للطفل متوافقة مع المجتمع ومستمدّة من ثقافته يسعى إلى أن يبقى للطفل الكثير مما هو شخصي، بحيث يتهيأ له أن يعالج شؤون الحياة بطريقة أفضل.

- أن يركز هدف الاتصال الثقافي بالأطفال على إكسابهم الأساليب والوسائل التي تتيح لهم امتصاص مضمون الاتصال المخطّط مع إعدادهم لأن يتقّفوا بأنفسهم، وأن يمارسوا عمليات تفكير يستطيعون بها حل ما يعترض حياتهم من مشكلات بعيدا عن أنماط التفكير الخرافية أو التسلّطية أو التخبطية.

- ربط مضمون ثقافة الطفل بنظام الاتصال وهدفه، فنظام الاتصال ينبع أولا من أسلوب التفكير المراد تحقيقه، إذ إن كل مضمون ثقافي يمكن أن يكون شكلا في حفظ المعاني والقواعد بينما يظل أسلوب التفكير عقيما، وبطل فن الاستخدام غائبا، حيث إن لأسلوب التفكير ولفن الاستخدام الخطورة البالغة، وقد وصل الأمر إلى القول إن العلوم نفسها -رغم ما لها من أهمية- لا يمكن أن تقود إلى النفع إلا إذا تحولت إلى فنون، أي تطبيق نتائج العلوم بأساليب فنية.

- أن يعدّ المضمون الثقافي للأطفال لفهم الحياة، دون التركيز على فيض المعلومات؛ لأنها جامدة تتطلب عمليات عقلية معرفية لتحريكها في تسلسل منطقي، وهذه العمليات تفكيرا كانت أم تخيلا تتطلب مناخا، ومن أكثر ما يعكّر صفو

ويعيدا عن الجمود، وغير قائم على التعصب،
وواقعياً لا يعتمد على الخيال المريض في فهم
الأشياء والتعامل معها؟

يقول د. طالب عمران: "في عصر العلم الذي
نعيشه يتحتم أن يوجه الطفل للتعلّم الجادّ المنتج
في العناية بتثقيفه العلمي، وشحن تصوراته
وأفكاره بقصص تتحدث عن إنجازات العلم
الباهرة ومستقبلها المضيء.."^{xxvii}

شهدت نهايات القرن الماضي تفجراً هائلاً في
المعلومات، وسرعة فائقة فيها مقترنة بشورة
مماثلة في الاتصالات، ربّما بتأثير هذه المعلومات
أيضاً، وقد أصبح الكتاب الإلكتروني حقيقة واقعة،
وقد عالج عديد من الباحثين تأثيره على الثقافة
وثقافة الأطفال، من بينهم الدكتور عبد الله أبو
هيف^{xxviii}

إنّ تعميم استعمال تقانات متعدّدة الوسائط
دون ترشيد سيؤثر سلباً على تنمية ثقافة
الأطفال، وسيشكّل خطراً على نماء الطفل
نفسه معرفياً وجمالياً، فقد كان الكتاب المطبوع
وما يزال المصدر المعرفي الأول، وما تزال
الغنون ومنها وسائل الاتصال بالجماهير، مثل
المسرح والسينما والتلفزة والإذاعة تعتمد على
الكلمة، وهي أداة الإبداع الأولى، ويعسر أخذها
من غير الكتاب، ولاشك في أنّ الشكوى والتذمّر
من مثل هذه المخاطر قد تواترت كثيراً في
الموقف التربوي والثقافي في الدول الصناعية
المتقدّمة تقنياً كاليابان وأمريكا على وجه
الخصوص، فتردّدت صيحات التحذير من انتشار
استعمال الكتاب الإلكتروني على عقول الأطفال
والناشئة وتبلّد مشاعرهم وعواطفهم، ناهيك عن
سرقة وقتهم قبل سرقة مداركهم ووسط
الاسترخاء والكسل الذهني^{xxix}

وهذا يعني أنّ الثقافة الرقمية تثير إشكالات
تربوية واجتماعية وفنية قد لا يكون بالمقدور درء
تبعاتها الثقيلة على مستقبل الإنسانية ما لم
تدرس بجديّة وعلميّة، وليس المقصود من ذلك
أن نعادي ثمار ثورة الاتصالات، ولكن مثل هذا
التبصير من شأنه أن يجعل المضامين الرقمية
الموجّهة للأطفال إضافة نوعيّة إلى ثقافة
الأطفال تسهم في بناء شخصياتهم بناء سليماً.

الخامسة عشرة، إذ يشيرون إلى أنّ محاولة تكوين
تخصّص قبل هذا العمر يعدّ عملاً عابثاً.

- أن تعمل وسائل الاتصال للوصول بمضمونها
إلى الأطفال جميعاً، فلم تعد الثقافة حكراً
لشريحة، بل هي قضية لا بدّ من أن تطلّ مشاعة
للجميع.

6- ثقافة الأطفال الرقمية:

6.1- رهانات ثقافة الأطفال في ظلّ الرقمية:

التطور العلمي الهائل للكمبيوتر في مجال
الاتصالات الذي تحوّل كما يرى الكثيرون من
مجرد حاسب يقوم بالعمليات الحسابية المنطقية
إلى أداة تضم إمكانات عرض النصّ والصوت
والصورة والرسوم المتحركة والفيديو الرقمي،
وهو ما اصطلح على تسميته بالوسائط المتعدّدة،
التي تعني المزج بين سمات الكمبيوتر والتلفزيون
في تناسق وتناغم على أقراص الليزر CD-ROM،
وكان وراء هذا التطور العلمي ما يسمى بالثورة
الرقمية، وقد واكب هذا التطور زيادة في سرعة
أجهزة الكمبيوتر حتى تستطيع التعامل مع الكم
الهائل من الأرقام الناتجة عن تحويل الصوت
والصورة والفيديو إلى لغة الكمبيوتر، فازدادت
سرعتها كما زادت ذاكرتها.

ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل
إشاعة أدبيات الثقافة الرقمية أو الإلكترونية بين
أطفالنا يؤدي إلى إشاعة نمط التفكير العلمي
بينهم؟ "حيث الحكم على المسائل والظواهر
والمشكلات بوعي شامل استناداً إلى ضوابط
معينة" كما يذهب إلى ذلك الهيتي، الذي يعلّق
قائلاً: "فما دنا نريد لأطفالنا أن يحلّوا المسائل
المتعلّقة بحياتهم والمشكلات التي يواجهونها،
ويفسّروا الظواهر تفسيراً صحيحاً، فإنّ هذا
يعني أنّنا نريد لهم أن يفكروا بطريقة علمية"^{xxvi}.
فهل تعاملهم المستمرّ مع أجهزة الحاسب الآلي
الذي هو ميني في الأصل ومُصمّم على خطوات
علمية منطقية محسوبة بدقة متناهية سيؤدي إلى
إشاعة هذا النمط من التفكير؟ أو على الأقلّ
يعلمهم كيف يفكّرون تفكيراً غير جزافي، قائماً
على خطوات يعتمد بعضها على البعض الآخر،
ويا حبذا لو كان هذا التفكير هادفاً ودقيقاً ومرناً

وقد حدّد الباحث نبيل علي الغايات الأساسيّة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات بالنسبة للطفل العربي وهي^{xxxiii}:
- تنمية قدرات الطفل العربيّ على اكتساب المعرفة.
- تنمية القدرات الذهنيّة لدى الطفل العربيّ.
- تنمية مهارات التواصل مع الآخرين لدى الطفل العربيّ.

والسؤال الجوهريّ بعد كلّ هذا: هل أعددنا أطفالنا للمشاركة الإيجابيّة في هذه الثورة العلميّة والتكنولوجية؟ أم سوف نتركهم عاجزين، متلقّين سلبين لما تقدّمه لهم شعوب الغرب من نتاج هذه الثورة، فيصبحوا أقراناً في عالم العمالة.

إنّ الثقافة العلميّة تتوطّد في ثقافة الطفل العربيّ، بل أصبح من الضروريّ معرفة كاتب أدب الأطفال بالعلم والتقانة وتدريبه على الكتابة العلميّة للأطفال، وقد ربط غالبية الباحثين الثقافة العلميّة بتطورها في الثقافة المعلوماتيّة، فوجد محمود قاسم مثلاً أنّ الثقافة العلميّة تتوزع إلى الأشكال الآتية: تسيط العلوم، والموسوعات العلميّة، وقصص الخيال العلميّ، وثقافة أسطوانات الكمبيوتر. ويرى أنّ "ثقافة الكمبيوتر العلميّة" تطوّر لابدّ منه في مسار الثقافة العلميّة، وينبغي مواكبتها^{xxxiv}.

لقد عالج الثقافة المعلوماتيّة عدّة باحثين عرب أمثال عبدو محمد، ومحمد قرانيا، وموفق أبو طوق، وعبد التواب يوسف، وعلي أحمد الديري، والعيد جلولي وغيرهم، ورأوا جميعاً أنّها تطوّر لا سبيل إلى تجاهله. فقد سمّى عبدو محمد عصرنا بـ "عصر المعلوماتيّة التي أصبحت أساساً لابدّ منه لكلّ بناء وكلّ عمل، وليكن معلوماً -وهو معلوم - أنّ أمواج المعلوماتيّة عالية هدّارة والويل لمن لا يجيد قيادة سفينة بينها وفوقها، أو كانت سفنه ضعيفة واهية"^{xxxv}.

وبين محمد قرانيا شيئاً من الشائع والمتواتر اليوم عن أهميّة المعلومات، والشعر والكمبيوتر، والرواية والمعلوماتيّة، وأدباء الإنترنت، والنقد والإنترنت، والإنترنت وأدب الأطفال، وحوى بحثه نظرات ثاقبة في وضعيّة أدب الأطفال إزاء المعلوماتيّة: "إنّ أدب الأطفال من المنظور التقنيّ يضع أيدنا على مبلغ التطوّر الذي أصاب

يقول عبد الله العروي: "الثورة الإلكترونيّة الإعلاميّة ثورة حقيقيّة، لها فوائد نلمسها كلّ يوم في المطارات والبنوك والمكتبات وغيرها، لكن بقدر ما تزيد المجتمع المتعلّم المصنّع علماً ومعرفة ونشاطاً، بقدر ما تغمس المجتمع الذي تعوزه المؤسسات في الذهنيّة الخرافيّة الاستهلاكيّة ولا يتلافى الخطر إلاّ باتّباع سياسة ثقافيّة قوميّة واعية متكاملة"^{xxxvi}.

حينما تتحدّث عن الثقافة الرقمية، فإنّما تتحدّث عن ثقافة القرن الحادي والعشرين، وإذا كان الاعتقاد السائد أنّ الثقافة تمرّ من الكبار إلى الصغار دوماً وليس العكس، فإنّ ذكاء الحر يتساءل: "ألا نرى أنّه في عصرنا عصر الثورة العلميّة والتكنولوجيّة الوافدة إلينا، أنّ بإمكان الصغار نقل معارفهم ومعلوماتهم إلى الكبار، وبمقدورهم أن يشرحوا مسائل تتعلّق بالمنجزات العلميّة والألات الحديثة بحيويّة وقدرة أكبر ممّن هم أكبر سنّاً في بعض الأحيان؟"^{xxxvii}.

قدّم علماء المستقبلات العديد من التصورات حول مواصفات إنسان القرن الحادي والعشرين، وحدّدوا ما ينبغي أن يزود به الإنسان من مهارات وقدرات حتّى يكون قادراً على مواجهة التحدّيات والتصدّي لها، ومن هذه الدراسات دراسة دور دوروثي تنستال (D.TUNSTALL) حول دور المدرسة وخصائصها في القرن الحادي والعشرين بعنوان (مدرسة القرن الحادي والعشرين)، حدّدت الباحثة من خلالها الخصائص والمهارات والقدرات اللّازم إكسابها للأطفال حتّى يستطيعوا المنافسة في هذا القرن، وجعلت القدرة على استعمال الكمبيوتر وشبكات الإنترنت أوّل وأهمّ هذه القدرات.

رغم كثرة الأبحاث والتصورات وما تضمّنته من خصائص ومواصفات فإنّ القاسم المشترك بينها هو ضرورة تنمية القدرات الآتية^{xxxviii}:

- القدرة على استخدام التكنولوجيات المتطوّرة والاستفادة منها.

- القدرة على التفكير بكافّة أشكاله، وأهمّها التفكير الناقد والابتكاريّ.

- القدرة على التعلّم الذاتيّ المستمرّ.

- القدرة على حلّ المشكلات وطرحها.

يتمّ من خلالها مخاطبة الأطفال بأسلوب جديد يهدف إلى إعدادهم إعداداً علمياً صارماً لمواجهة تحديات القرن الجديد، ومواكبة الموجة الحضارية الثالثة وهي الموجة المعلوماتية بعد أن تخطى العالم الموجة الحضارية الثانية وهي الموجة الصناعية^{xli}.

تكاد تكون صفة هذا القرن هي العلم والمعرفة العلمية في أقصى اتجاهاتها التقيية والمعلوماتية، حتى أصبحت المعلومات لازمة لكل اتجاهات الحياة، ولم يعد جديداً أن يقال على سبيل المثال أننا نعيش عصر المعلومات أو عصر التفجر المعرفي أو عصر الانفجار المعلوماتي أو عصر التقانات الحديثة ومظاهرها المختلفة في الأتمتة والحواسيب وغير ذلك مما هو صفة الحداثة وما بعد الحداثة، ومما لا يمكن لطاقت الفرد أو المؤسسات أن تحيط به أو تسيطر عليه^{xli}.

وتعدّ اليوم سلطة المعرفة استناداً إلى تطوّر التقيية من أهم القوى في عصرنا، بل ربما كانت أهم من الثروة أو السلاح التقليدي، وتثار الأسئلة عن واقع صلة الطفل العربي بهذه المعلومات وبهذه المعرفة العلمية؛ كاستخدام الحواسيب في التعليم أو التنشيط الثقافي وما يتفرع عنها من إدخال الحواسيب إلى المناهج التربوية والتعليمية، أو إدخال أشكال تعليم الحواسيب واستخدامها في النشاطات الثقافية والحياتية للطفل العربي، وعلى هذا فإن تنمية ثقافة الطفل العربي تتطلب معاينة وإقع المعرفة العلمية والتقيية والمعلوماتية في تثقيف الأطفال وتدريبهم تمهيداً لتطوير هذا الواقع لإلحاق الطفل العربي بركب المعرفة العلمية وتقانة المعلومات.

"لقد داهم التحديث سيرورة الخطاب الثقافي الأصيل للطفل العربي، بتعارضاته وتوافقاته مع شجون التأصيل وتحديات العصر، ولاسيما تسارع التقدم التكنولوجي وثورة الاتصالات، وشيوع الثقافة العلمية، والتفجر المعلوماتي، والسؤال الضاغط الآن، هو كيف نواكب التطور المتسارع لعصر التكنولوجيا الرقمية؟

وتزداد ضغوط هذا التطور في المجالات التربوية، وصلة ذلك بالتطوير والعقل والأخلاق من جهة، وانتشار التصليل والتزييف وإيديولوجيا الاتصال المخادعة وتسطيح المعرفة من جهة

هذا الفرع من المعرفة الإنسانية، وما يمكن أن تقدّم التقيية للأطفال من أنماط الثقافات وألوان الإبداع، على الرغم مما تتطوي عليه من مخاطر وسلبات لن تلغها الأرضية المعرفية والثقافية للطفل، ولن تجدي معها المراقبة المنزلية والمدرسية، نظراً لضخامة القنوات التي تطرح السموم الصريحة والمغلّفة، التي تبثها الفضائيات وشبكة الإنترنت، الأمر الذي يستدعي معالجة عامّة تشارك فيها جميع الجهات الرسمية والخاصة^{xxxvi}.

والتفت موفّق أبو طوق إلى البرمجيّات وضرورة إنتاج برمجيّات عربيّة، ودعا من أجل "أن تتعاون جميعاً مربين وأدباء وتقنيين ولغويين في مجال الكمبيوتر، علينا أن نضع هذا الجهاز في مكانه الصحيح، ونوجّه أطفالنا الوجهة السليمة التي تقطف إيجابياته وتبذ سلبياته، علينا أن نقضي قضاء مبرماً على الدسّ التاريخي والتراثي الذي قد يتسرّب عن طريق البرامج المشوّهة، وعلينا أن نقف في وجه برامج تروج العنف والجنس ولكل ما يؤثّر في شخصية طفلنا العربي"^{xxxvii}.

وأثار علي أحمد الديري أسئلة المعلوماتية في تأثيرها على خيال الطفل وتوظيفها في ثقافة الطفل العربي: "ليكون سؤالنا كيف نقدّم للطفل العربي ثقافة تستثير إبداعه وتدفعه لتجاوز إنجازات الآلة؟ كيف سنوظف الآلة لتحقيق ذلك؟ لا كيف سنوظف الآلة لاستنساخ عقل الطفل العربي طبقاً لعقلنا؟ التحول إلى المعلوماتية سيتجلّى في جوانب كثيرة من جوانب الثقافة العربية كالشعر والقصة والرواية والمسرح، علينا أن نعيد النظر في هذه الجوانب، وهي تغادرنا محلقة في فضاء المعلوماتية"^{xxxviii}.

وقد طرح العيد جلولي فكرة تأسيس مشروع أدب تفاعلي للأطفال يقوم على عنصري التفاعل والمشاركة، فيبين ذلك بقوله: "وقد حاولنا استثمار المنجز النقدي الحديث في مجال نظرية القراءة وجماليات التلقي، واستغلال المفاهيم المطروحة في مجال الأدب التفاعلي للكبار من خلال رواه ومنظريه أمثال سعيد يقطين وفاطمة البريكي، ومحمد سناجلة وغيرهم"^{xxxix}.

ويضيف مينا مرامي هذا النوع الجديد: "ولاشكّ أنّ الأدب التفاعلي للأطفال سيفتح نافذة للمبدعين

أداة أو نشاط في آن واحد، فهو يميل فطرياً إلى سرعة التعلّم^{xliv}، يميل إلى البحث العشوائي للمعلومات في شبكة الإنترنت^{xlv}، يميل إلى اللعب عن العمل الجاد، يميل إلى الصور قبل النصوص، يميل إلى قراءة النصوص وتعديلها على شاشة الحاسوب دون الحاجة لطباعتها.

هذه الملامح المتناقضة ما بين الجيل الرقمي والجيل الرقمي بالتعلّم وهو الجيل الذي يمثّلنا من أباء وإعلاميين ومحررين وتربويين.. جعلتنا في مواجهة وصراع في إيجاد الطرق المثلى لتعليم وتوجيه أمة رقمية تتحدّث بلغة جديدة كليّة.

فهل الحل أن نعوّد "الجيل الرقمي" للتعلّم على طريقتنا التقليدية التي نشأنا عليها؟ أم أن تنبئ الجديد في تعلّم طريقة التواصل بلغة وأسلوب جيل اليوم، يتماشى مع عصر السرعة والبحث العشوائي، والتعلّم عن طريق اللعب، وإدخال العلوم العصرية؛ مثل النانو وعلم الأحياء البيولوجية والإنسان الآلي وعلم الأعصاب.. تماشياً لمستحدثات الجيل الجديد، وتلبيةً لمتطلبات العصر الحديث!^{xlvi}

7- استنتاجات وتوصيات:

أ- الاهتمام بتشكيل الهوية الثقافية للطفل ينطلق من مبدأ أن الهوية الثقافية هي المدخل الأساس لتحقيق التنمية البشرية من خلال تكوين الإنسان المنتج، الواعي لقضايا أمته الراهنة، الساعي لجسر الفجوة بين الواقع الراهن وما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدّم وازدهار على صعد مختلفة.

ب- تثبيت هذه الهوية لدى أطفالنا يتطلّب من المؤسسات المعنية عبر الأقطار العربية أن تسعى إلى تنمية شعور الطفل العربي بالانتماء لوطنه وأمته وقوميته وتراثه، ومدّ الرعاية إلى الطفل العربي في المهجر، لتوكيد صلته بقوميته، ولتثبيت هويته، وترسيخ انتمائه إلى الوطن العربي الأم، والحضارة العربية والإسلامية،

أخرى. إن هذا الاستخدام الواسع للتكنولوجيا الرقمية يصير في أحيان كثيرة إلى نتائج تربوية قاسية على الأطفال والناشئة، من السطحية والسرعة والهزل وصينية الأفراد وتلقينهم الاستغناء ومجانبة الفكر النقدي، والجبرية الجديدة، وتزييف الوعي واستهلاكية المعرفة إلى تلاشي البعد الأخلاقي والإنساني للوجود برمته، حين تستبدل الكلمة بالصورة ثم بالرقم بعد ذلك، وهو تحدّ تربوي بالدرجة الأولى^{xlii}.

6. 2- بين الجيل الرقمي والجيل الرقمي بالتعلّم:

تواجهنا مسؤولية كبيرة ومهمّة معقّدة في إيجاد الطريقة المثلى للتعامل مع ما يسمى "الجيل الرقمي"، ويقصد بهذا المصطلح الأفراد الذين نشئوا وترعرعوا في وجود الوسائط التكنولوجية المتعدّدة؛ مثل اللوحات الإلكترونية وأجهزة التواصل المتطوّرة.

ولعل أقرب وسيلة للمصالحة مع هذا الجيل هي في فك رموزه، والاجتهاد في فهم سلوكياته واهتماماته والطريقة التي يعيش فيها، في محاولة منا لاختراق عالمه والوصول إليه، وبالتالي التأثير عليه.

وفيما يلي مقارنة ما بين السمات التي يشترك فيها أطفال "الجيل الرقمي" من جهة و"الرقميين بالتعلّم" من جهة أخرى، وفقاً للتقرير الذي نشره الخبير في الإلكترونيات "مارك برينسكي" في عام 2001، ويقصد بالرقميين بالتعلّم أولئك الذين ولدوا ولم يكن هناك وجود للوسائط الإلكترونية، ولكن تعلّموها وتأقلموا معها لاحقاً.

فإذا كان الجيل الرقمي بالتعلّم (Digital immigrants) يتّصف بالبطء في استمداد المعلومات وتقييمها، وإلى إنجاز مهمة واحدة أو مهمات محدودة في نفس الوقت، وإلى التعامل مع النصوص قبل الصور والموسيقى والفيديو، وإلى استقبال المعلومات بشكل منطقي، متسلسل (خطوة بخطوة).. الخ.

فإنّ الجيل الرقمي (Digital natives) يميل إلى السرعة في بحث المعلومات وعدم التمييز بين الأفضل^{xliii}، وإلى تكوين العلاقات والتشابك الإلكتروني مع الآخرين، وإلى العمل على أكثر من

والتعاون في هذا المجال مع مختلف الهيئات
والمؤسسات التي لها الأهداف نفسها.
ج- إن الملامح العامة لثقافة الطفل العربيّ
تحدّد بمستوى التعليم، ومدى وجود تخطيط
مستقبليّ لثقافة الأطفال، ومدى وجود جهات
رسمية وغير رسمية، محلية وعربية ودولية مهتمّة
بثقافة الأطفال، ومدى وجود تنسيق وتعاون بين
هذه الجهات المختلفة، ومدى وجود تخطيط
لربط ما يقدّم في مجالات ثقافة الأطفال في
الوطن العربيّ بالتقدّم العلميّ العالميّ، ومدى
وجود محاولات لربط ما يقدّم بالتراث القوميّ،
ومدى وجود تخطيط لربط ما يقدّم في مجالات
ثقافة الأطفال، ومدى وجود لجان لمراجعة ما
يقدم في مجالات ثقافة الأطفال الخ.

وخلاصة القول إنّ التشيئة الثقافية في
الأقطار العربية رغم الأشواط المعتبرة التي
قطعها بعض الأشخاص وبعض الهيئات في كل
قطر على حده بحاجة إلى ماسة اليوم إلى
تنسيق الجهود لمواجهة تحديات المرحلة، كونها
تتجاوز الاعتبارات الفردية والقطرية، وتتطلب
وقوف الجميع في صف واحد ورسالة واضحة
واحدة، مؤسسة على رؤيا متقاربة، تمكّنها من
استغلال عطاءات العصر لصناعة طفولة مبدعة
وسعيدة على النحو المنشود.

i - الهوامش:

- انظر عبد التواب يوسف، تنمية ثقافة الطفل، سلسلة فصول حول ثقافة الطفل، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 37.
- ii - انظر المرجع نفسه، ص 25-31.
- iii - مصطفى حجازي وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1990، ص 30-31.
- iv - سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 98.
- v - محمد عبد الرزاق إبراهيم، ثقافة الطفل، مراجعة علي خليل مصطفى، دار الفكر، الأردن، 2004، ص 79.
- vi - هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 123، مارس 1988، ص 30.
- vii - مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص 17.
- viii - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس، ط 2، 1990، ص 58.
- ix - هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 30-31.
- x - انظر المرجع نفسه، ص 29-32.
- xi - انظر عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 157.
- xii - سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، ص 98.
- xiii - صدر هذا الاعتراف في المؤتمر الدولي للتربية في دورته الثالثة والأربعين، جنيف 14-19 أيلول 1992، ثم دُعيت هذا الاعتراف في دورته الرابعة والأربعين، جنيف، 1994.
- xiv - فيصل عباس، علم نفس الطفل، النمو النفسي والانفعالي للطفل، دار الفكر العربي، بيروت، 1997، ص 55.
- xv - مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، ص 25.
- xvi - انظر عبد الله أبو هيف، أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983، ص 158.
- xvii - انظر مجموعة من خبراء اليونسكو، التنمية الثقافية: تجارب إقليمية، تر: سليم مكسور، مرا: عبد وازن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر واليونسكو، بيروت، 1983، ص 261.
- xviii - انظر هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 65.
- xix - المرجع نفسه، ص 70.
- xx - انظر المرجع نفسه، ص 92-94.
- xxi - انظر مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، ص 18.
- xxii - هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 43.
- xxiii - محمد عماد إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل)، عالم المعرفة، الكويت، عدد 108، ديسمبر 1986م، ص 19.
- xxiv - انظر مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، ص 18.
- xxv - انظر هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 100 - 104.
- xxvi - المرجع نفسه، ص 94.
- xxvii - مجموعة مؤلفين، أدب الطفل العربي، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان، الأردن، (د.ت)، ص 123.
- xxviii - انظر عبد الله أبو هيف، الكتاب الإلكتروني (مقال)، جريدة البيان، دبي، عدد 6042، 2 جانفي 1997، ص 31.
- xxix - انظر عبد الله أبو هيف، تنمية ثقافة الطفل العربي، ص 23-24.
- xxx - أحمد فضل شبلول، ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، 6 ماي 2003م، ص 45.
- xxxii - ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص 30.
- xxxiii - انظر العيد جلولي، نحو أدب تفاعلي للأطفال (مقال)، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد 10، مارس 2011، ص 245.
- xxxiii - انظر المرجع نفسه، ص 245.

xxxiv- انظر عبد الله أبو هيف، تنمية ثقافة الطفل العربي، ص 70-71.

xxxv- المرجع نفسه، ص 71.

xxxvi- المرجع نفسه، ص 71.

xxxvii- المرجع نفسه، ص 72.

xxxviii- المرجع نفسه، ص 72.

xxxix- العيد جلولي، نحو أدب تفاعلي للأطفال، ص 237.

xl - المرجع نفسه، ص 237.

xli - انظر عاطف عدلي العبد وعبد التواب يوسف، الطفل العربي ووسائل الإعلام وأجهزة الثقافة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، 1988، ص 435.

xlii- انظر عبد الله أبو هيف، تنمية ثقافة الطفل العربي، ص 254.

xliiii- أقرت "تارا برابازون" (tara brabazon) من قسم الإعلام بجامعة "برايتون" باستعانة أغلب طلبتها على نتائج بحث أول موقعين يظهرهم محرك البحث "جوجل"، وهو أمر لا يتناسب والمستوى الجامعي. انظر نهى محمد الدخان، تجربتي في مجلة العربي الصغير (مقال)، مجلة العربي، الكويت، عدد 556، مارس 2005، ص 57.

xliv- الجيل الرقمي لديه قدرة الحدس تميزه عن أقرانه في العقود الماضية، في تعاطيه مع البرمجيات والتقنيات الإلكترونية، في حين يتطلب من جيل من سبقوه متابعة كتيبات التشغيل خطوة بخطوة.

xlv - جيل شبّ على برمجيات الحاسوب وشبكة الإنترنت فأوجد فيهم أنماط تفكير حديثة مقارنة لنمط تشغيل الشبكة الإلكترونية، فعلى غرار صورة الإبحار في الإنترنت فهم يقفزون من موضوع لآخر ومن فكرة لأخرى دون علاقة سببية.

xlvi- انظر نهى محمد الدخان، تجربتي في مجلة العربي الصغير، (مقال)، كتاب العربي، عدد 82، أكتوبر 2010، ص 3.